غزة: منطق القوة الاستعمارية

ترجمة نوال لايقة

كما حدث دوما، مصطلح «الإرهاب» كثيرا ما يؤمن الغطاء لإخفاء سحق القوي للضعيف.

أمضيت معظم ولاية بوش أعمل مراسلاً صحفياً من العراق، أفغانستان، لبنان، الصومال وغيرها من أماكن الصراع. بدأت إدارة بوش ولايتها والفلسطينيون يتعرضون للمذابح، وها هي تنتهي وإسرائيل ترتكب واحدة من أكبر مذابحها خلال ٦٠ عاما من احتلالها الأراضي الفلسطينية. زيارة بوش الأخيرة لبلد أجنبي انتهت بأن قذفه صحفي شيعي علماني من العراق بحذائه، تعبيرا عن مشاعر كل العالم العربي حياله ما عدا الأنظمة التي ربطت نفسها بصفاقة بهذا النظام الأمريكي المكروه.

مرة أخرى، الإسرائيليون يقصفون أهالي غزة بعد حصارهم وتجويعهم. العالم كله يتفرج على مأساة ١,٥ مليون فلسطيني في غزة على شاشات التلفزة. الإعلام الغربي يوجد التبريرات للأفعال الإسرائيلية. حتى بعض أجهزة الإعلام العربية تحاول أن تساوي بين المقاومة الفلسطينية وقوة الآلة العسكرية الإسرائيلية. لا شيء من هذا يفاجئ. فالإسرائيليون قاموا بحملة علاقات عامة على مستوى العالم من أجل جمع الدعم لعدوانهم، وحتى أنهم حصلوا على تعاون بعض الأنظمة العربية كحكومة مصر.

الأسرة الدولية مدانة بشكل مباشر على هذه المذبحة الأخيرة. هل ستبقى منيعة أمام غضب شعب يائس؟ حتى الآن، خرجت مظاهرات كبرى في لبنان واليمن والأردن ومصر وسوريا والعراق. الشعوب العربية لن تنسى. الفلسطينيون لن ينسون. «كل ما فعلتموه لشعبنا مسجل في دفتر مذكراتنا،» على حد قول الشاعر محمود درويش.

كثيرا ما سئلت عن رأيي حول ما يجب على أمريكا أن تفعله كي تسعى للسلام وتكسب قلوب وعقول المسلمين. أنا أيضا كثيرا ما شعرت باني عديم الجدوى، لأننا نحتاج إلى ثورة حقيقية في الحكومة الأمريكية والسياسة الخارجية لتحقيق التغيير المطلوب. سألتني صحيفة أمريكية مرة إن كنت أرى أن الهجمات الإرهابية يمكن تبريرها. وكان جوابي هو أن الصحف الأمريكية يجب الا تسأل أبدا إن كانت الهجمات على المدنيين يمكن تبريرها. هذا سؤال يترك للضعفاء كي يوجهوه إلى انفسهم: لسكان أمريكا الأصليين في الماضي، لليهود في ألمانيا النازية، وللفلسطينيين اليوم.

الإرهاب هو مصطلح معياري وليس مفهوماً وصفياً. إنه كلمة جوفاء تعني كل شيء ولا تعني شيئا، إنها كلمة تستخدم لوصف ما يفعله الآخرون، وليس ما نفعله نحن. فالقوي – سواء كان إسرائيل أو أمريكا أو غيرهما – دوما سيصف نضال ضحاياه بأنه إرهاب، أما التطهير العرقي ضد الفلسطينيين، الذبح البطيء للفلسطينيين الذين بقوا في الداخل، الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان – حيث قتل عشرات الآلاف من المدنيين...هذه الأفعال لن تفوز أبدا بلقب الإرهاب، برغم أن المدنيين هم المستهدفون، وإرهابهم وذبحهم هو الهدف.

القواعد المعيارية يضعها الأقوياء. هؤلاء الذين يتمتعون بالنفوذ هم من يحددون ما هو مشروع وقانوني وما هو غير مشروع وغير قانوني. إنهم يطوقون الضعيف بالموانع القانونية كي يمنعوه من المقاومة. إن مقاومة الضعيف هي- تعريفا – غير قانونية وغير مشروعة. مفاهيم مثل الإرهاب يتم خلقها واستخدامها كمعايير وكأن محكمة حيادية قد حددتها. كأنها ليست مفاهيما وضعها الظالمون. إن إضفاء الشرعية على هذه المفاهيم محفوف يضعف الشرعية الحقيقية ويضعف المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة. من الواضح أن الأقوياء، هؤلاء الذين يضعون القواعد، يتمسكون ب «الشرعية» فقط كي يحافظوا على النفوذ الذي يساعدهم على الاستمرار في احتلال واستعمار الآخرين.

قصف المدنيين هو الوسيلة الأخيرة اليائسة التي لا يجب اللجوء إليها إلا كطريقة للمقاومة عند مواجهة خطر الإبادة. والهجمات الصاروخية الفلسطينية لا تشكل تهديدا خطرا لإسرائيل. إن قضم الاراضي الفلسطينية مستمر يوما بعد يوم، والشعب الفلسطيني يتعرض للإبادة يوما بعد يوم. ولذلك، هم يردون بالطرق المتوفرة لديهم من أجل الضغط على إسرائيل. القوى الاستعمارية تستغل المدنيين استراتيجيا، فتوطنهم كي يغتصبوا الأرض، وتطرد السكان الأصليين، سواء كانوا الهنود الحمر في شمال أمريكا أو الفلسطينيين في ما يدعى الآن بإسرائيل والأراضي المحتلة. عندما يرى الشعب أن هناك آلية لا يمكن إبطالها تجردهم من أرضهم وهويتهم بدعم من قوة عظمى، يضطرون إلى اللجوء إلى أي طريقة ممكنة للمقاومة.عندما يقوم أي مواطن فلسطيني تحت الاحتلال بمهاجمة احد جنود الاحتلال، تسميه إسرائيل إرهابيا!قال بوش في أيلول الماضي أنه لا شيء يبرر سلب أي إنسان حياته عمدا. وبرغم ذلك، الولايات المتحدة قتلت آلاف المدنيين في غاراتها على المناطق المأهولة. عندما ترمي القنابل على مناطق مأهولة وأنت تعرف أنها ستؤدي إلى أضرار «أكيدة» بين المدنيين، وتقبل ذلك، فإن ذلك يعد قتلا عمدا. عندما تفرض الحصار الذي يؤدي إلى موت مئات الآلاف من المدنيين، ، يكون ذلك بمثابة قتل المدنيين عمدا من أجل تحقيق هدف سياسي. وعندما تقوم ب «الصدمة والرعب»، كما فعل بوش، عندما قصف العراق، يعد ذلك عملا إرهابيا.وكما أن أفلام الكاوبوي تصور الأمريكيين البيض بأنهم محاصرون، وأن الهنود الحمر هم المعتدون، وهذا يناقض الحقيقة تماما، نجد الآن أنه يتم تصوير الفلسطينيين على أنهم المعتدين وليس الضحايا.عام ١٩٤٨، طرد ٧٥٠٠٠٠ فلسطيني من منازلهم، ودمرت قراهم، واغتصبت أراضيهم وأعطيت للمستعمرين الذين أصبحوا ينكرون حتى أي وجود للفلسطينيين، والذين ما زالوا يشنون حربا مستمرة على الفلسطينيين منذ ٦٠ عاما. كل يوم يتم قضم المزيد من أراضي فلسطين، ويقتل المزيد من الفلسطينيين. أن تدعو نفسك صهيونيا إسرائيليا يعني أنك تشارك في طرد شعب بكامله. من حق الفلسطينيين استخدام أي طريقة تتوفر لديهم للمقاومة، ليس لأنهم فلسطينيون، بل لأنهم الطرف الأضعف في الصراع. لو كان لدى الفلسطينيين صواريخ متطورة ودبابات وطائرات لما لجأوا إلى إطلاق الصواريخ البدائية. وبسبب السياق الحالي للأحداث وموازين القوى، تعد أفعالهم مشروعة. فالضرر التي يمكن أن يحدثونه محدود.

وبنفس الطريقة، من حق العراقيين المقاومة، فبلادهم دمرت وشعبهم قتل وهجر دون مبرر.

يمكنني القول بأن الأمريكيين يستفيدون من اعتداءات بلادهم دون أن يضطروا إلى دفع الثمن، وأنه في عالمنا اليوم، الآلة الإمبريالية ليست عسكرية فقط، بل شبكة عسكرية – مدنية. ويمكنني القول أيضا أن الشعب الأمريكي انتخب إدارة بوش مرتين وانتخب ممثلين لم يفعلوا شيئا لوقف الحرب، وأن الشعب الأمريكي نفسه لم يفعل شيئا. من وجهة نظر أي امريكي، أو أي إسرائيلي، إذا كنت قويا، كل ما تفعله يصبح قانونيا ومبررا، ولا شيء مما يفعله الضعفاء يعد مشروعا. إنها مسألة أي جهة تختار أن تصطف معها: جهة الأقوياء أم جهة الضعفاء.

إن إسرائيل وحلفاءها في الغرب والعالم العربي تمكنوا من شق الصف الفلسطيني وحمل جهة فلسطينية على التعاون معهم – وخلقوا أول حركة تحرير تتعاون مع المحتل. الانتخابات الإسرائيلية قادمة في وقت قريب، وكما هي العادة، هذه الانتخابات تاتي مرفوقة بالحرب من أجل توفير الدعم للمرشحين. لا يمكنك أن تصبح رئيسا لوزراء إسرائيل إذا لم تكن يداك ملطختين بما يكفي من الدم العربي. أحد جنرالات إسرائيل هدد بإرجاع غزة عقودا إلى الوراء، تماما كما سبق أن هددوا بإرجاع لبنان إلى الوراء عام ٢٠٠٦. كما لو أن خنق غزة وحرمان شعبها من الوقود والكهرباء والغذاء لم يرجعها إلى الوراء.

إن حكومة حماس المنتخبة ديمقراطيا كانت هدفا للتدمير منذ فوزها بالانتخابات عام ٢٠٠٦. العالم قال للفلسطينيين صراحة أنه لا حق له في الديمقراطية، وكأنه يريد دفعهم إلى التطرف دفعا. إسرائيل تدعي أنها تستهدف القوات العسكرية لحماس. هذا ليس صحيحا. فهي تستهدف الشرطة الفلسطينية وقياداتها. ما الذي سيحدث للمجتمع دون قوات أمن؟

إسرائيل الصهيونية ليست مشروعا قادرا على الاستمرار، والمستوطنات الإسرائيلية، والحواجز القائمة على الأراضي الفلسطينية جعلت الحل القائم على وجود دولتين مستقلتين حلا مستحيلا. لا يمكن قيام سوى دولة واحدة في فلسطين التاريخية. في العقود القادمة، سيكون امام الإسرائيليين خياران: الانتقال إلى مجتمع مساواتي، حيث يحصل الفلسطينيون على الحقوق ذاتها، كما حدث في جنوب أفريقيا بعد انهيار النظام العنصري؟ أم سيستمرون في النظر إلى الديمقراطية كخطر يهددهم؟ في هذه الحالة، أحد الشعبين سيجبر على الرحيل. لم تنجح الخطط الاستعمارية إلا في الحالات التي تمت فيها إبادة غالبية السكان الأصليين. ولكن، في حالات كثيرة، كما حصل في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، المستعمرون هم من يفرون هاربين في النهاية. في النهاية، لن يبدي الفلسطينيون الاستعداد للتنازل والسعي إلى قيام دولة واحدة لكلا الشعبين. فهل يريد العالم دفعهم إلى المزيد من التطرف؟

يجب ألا تنخدعوا: فاستمرار مشكلة الفلسطينية هي الدافع الأساسي لكل متطرف معاد لأمريكا في العالم العربي وخارجه. لقد فقدت أمريكا قدرتها على التأثير على الشعوب العربية، وإن كانت ما زالت قادرة على الضغط على الحكومات العربية. لكن الإصلاحيين والنخب في العالم العربي لا يريدون أن تكون لهم علاقة بامريكا. حكومة أمريكية عاجزة تغادر البيت الأبيض. الوعد بقيام دولة فلسطينية ما هو إلا كذبة، في الوقت الذي يقتل فيه المزيد من الفلسطينيين. هناك رئيس أمريكي جديد سيتولى السلطة، ولكن التجربة المريرة للشعوب العربية مع إدارات الولايات المتحدة تجعلهم لا أمل لديهم في أي تغيير. الرئيس المنتخب أوباما، ونائبه بايدن، ووزيرة خارجيته هيلاري، لم يظهروا ما يشير إلى أن نظرتهم إلى الشرق الأوسط مختلفة عن رؤى الإدارات الأمريكية السابقة. وبينما يستعد العالم للاحتفال بالعام الجديد، كم سيحتاج هذا العالم من الوقت كي يشعر مرة أخرى بمعاناة وآلام هؤلاء الذين يتجاهل تعرضهم للاضطهاد أو يؤيده؟

الغارديان البريطانية 29/12/2008
نير روزن

دي مستورا: الأولوية الآن لانتخابات مجالس المحافظات

شكوك حول كيفية تنفيذ الاتفاقية الأمنية

ترجمة : نجاح الجبيلي

تزايدت أعداد القتلى من المدنيين العراقيين في شهر تشرين الثاني الماضي مع تزايد وسائل التفجير الارتجالية على الرغم من أنها كانت أقل من عددها في شهر أيلول حسب إحصائيات صادرة عن وزارة الداخلية.

كان عدد القتلى المدنيين في الشهر الماضي ١٤٨ بينما بلغ في شهر تشرين الأول ١١٨ و ١٥٦ في شهر أيلول.

وبلغ عدد وسائل القتل المرتجلة ١٠٨ مقارنة بـ(٧٩) في شهر تشرين الأول و ١١٣ في شهر أيلول، وأغلب معدلات العنف تبقى أقل بكثير من نظيراتها في الخريف الماضي.

وأظهرت الإحصائية الجديدة أيضاً ارتفاعاً في عدد الهجمات باستعمال العبوات اللاصقة – وهي وسائل تفجير تلصق مغناطيسياً أسفل السيارة- والتي أصبحت شائعة بصورة متزايدة بين المسلحين.

وآخر هدف لهذه العبوات كان فريق مراسلين تابعاً للإذاعة الوطنية العامة الذي يرأسه «إيفان واطسون»

وقد نجا هو مع ثلاثة عراقيين يعملون معه في بغداد من محاولة اغتيال وكانت عبوة لاصقة قد وضعت أسفل سيارتهم المدرعة.

وحين كانوا على وشك أن يركبوا بها انفجرت العبوة وحطمت السيارة.

يقول السيد واطسون:» كان هذا أمراً يبعث على القشعريرة لأن أحدهم عرف بأن هناك شخصاً أجنبياً فوضعوا قنبلة تحت سيارته» ويضيف:» العراقيون يقتلون كل يوم بهذه العبوات، وصادف أننا كنا هدفاً لها هذه المرة».

في الوقت نفسه استمرت المناقشات في نهاية الأسبوع حول الاتفاق الأمني مع الولايات المتحدة والتي أقرها مجلس النواب العراقي في يوم الخميس.

ولغرض تصديقها صوت مجلس النواب على شرط إجراء استفتاء شعبي عليها ويتفق كبار رجال الدين في العراق على الحاجة إلى تصويت شعبي كوسيلة لإضفاء شرعية على الاتفاق الذي سيحكم كيفية عمل القوات الأمريكية في العراق من عام ٢٠٠٩ حتى ٢٠١١.

وفي يوم الأحد، قال ممثل الأمم المتحدة الذي يساعد مكتبه على تنظيم الانتخابات بأن التخطيط للتصويت لن يبدأ حتى يتم تنظيم انتخابات مجالس المحافظات في نهاية كانون الثاني.

وقال ممثل الأمم المتحدة في العراق ستيفان دي مستورا في مؤتمر صحفي بأن الأولوية للاقتراع الآن هي انتخابات مجالس المحافظات.

والانتخابات معقدة لأنها سوف تجري في كل المحافظات عدا أربعة منها، وسوف تنظم عن طريق المفوضية العليا المستقلة للانتخابات.

يقول دي مستورا ، وهو سويدي، في رد على سؤال إن كانت المفوضية ستكون جاهزة للاستفتاء العام القادم:» الخطوة الأولى للمفوضية هي انتخابات كانون الثاني».

وفي النجف ، المدينة المقدسة ، أكد مسؤولون مقربون من كبار رجال الدين، بضمنهم المرجع الأعلى آية الله العظمى علي السيستاني، بأن رجال الدين يراقبون الحكومة العراقية عن كثب لضمان تنفيذ التزاماتها في الاتفاق الأمني الذي تم التصديق عليه فقط بعد أن وافقت الحكومة على إجراء الاستفتاء الشعبي في ٣١ تموز.

وعلى الرغم من أن غالبية مجلس النواب صوّت لمصلحة الاتفاق الأمني إلا أن البرلمان الحالي لا يمثل البلد كله.

وظهر كبار رجال الدين الذي يمتلكون تأثيراً كبيراً مدركين فكرة الاستفتاء لأنه سوف يسد أي نقص في التمثيل بالبرلمان.

وفي تعليقات هي إلى حد ما ملغزة ،لان كبار رجال الدين يتجنبون إعطاء تعليمات صريحة للحكومة، أشار مسؤولون في مكاتب اثنين من المراجع الأربعة، وهم كبار رجال الدين الرئيسين في العراق، في نهاية الأسبوع بأنه مازالت هناك العديد من الشكوك حول كيفية تنفيذ الاتفاق الأمني.

أحد كبار المسؤولين في مكتب أحد المراجع، والذي طلب عدم ذكر اسمه لأنه غير مسموح له بالكلام إلى وسائل الإعلام، قال إنه لا يوجد الآن إجماع شعبي على الاتفاق الأمني.

ولاحظ هذا المسؤول بأن لغة الاتفاق غير واضحة في العديد من النقاط المهمة بالنسبة لسيادة البلد و بضمنها الحماية التي سيحصل عليها العراق من الدعاوى القضائية التي يمكن أن تؤدي بالمحاكم رفع دعاواها على ريعه من النفط.

و بينما يصاغ الاتفاق الأمني فهناك فرصة أن يكون العراق تحت الضغط الأمريكي للسماح بتنفيذ عمليات عسكرية محددة للأمريكان حتى لو كان العراقيون لا يشعرون بالراحة من هذه المهمات. ووفق الاتفاق فإن القرارات حول تنفيذ كل المهمات سوف يقررها بصورة مشتركة بين العراقيين والأمريكان.

وقال أحد ممثلي مكتب مرجع آخر أن «الحكومة الآن تحت المراقبة الشديدة».

وأضاف أن المراجع كانوا واعين بان «الخطوة القادمة للحكومة هي إثبات مصداقيتها للشعب العراقي».

الاتفاق الأمني العراقي – الأمريكي الذي سيحل محل قرار الأمم المتحدة الذي يحكم عمليات القوات الأمريكية في العراق، من المتوقع أن يكون قد دخل حيز التنفيذ في ١ كانون الثاني الجاري.

ويتطلب انسحاب القوات الأمريكية من البلد في غضون ثلاث سنوات ومن ضمن شروطها وجوب حصول القوات الأمريكية على أمر قضائي قبل تفتيش البيوت أو الممتلكات.

وقالت المفوضية العليا المستقلة للانتخابات ودي ميستورا في مؤتمر صحفي بأنهم سيعملون على أن لا توقف للتحضيرات لانتخابات مجالس المحافظات في ٣١ كانون الثاني وأن هناك ٢,٩ مليون فرد من الأسر التي تم تسجيلها سابقاً.

لكنهم صرحوا بأن هناك أكثر من عمل يجب إنجازه لتأمين عدم حصول التزوير وأن تتهيأ الفرصة لكل شخص للتصويت. وهم على وشك الشروع بسلسلة من الإعلانات التوجيهية عن كيفية التصويت في الإذاعة وحث مستورا كل العراقيين على المشاركة في الانتخابات.

عن صحيفة نيويورك تايمز

تعافي المستشفيات ترفع الآمال في العراق

ترجمة: علاء خالد غزالة

بغداد – حذره زملاؤه ان من المبكر العودة الى العراق. وقالوا له ان العراق مازال خطرا، خصوصا بالنسبة الى طبيب قُتل سائقه في محاولة فاشلة لاغتياله.

لكن غزوان البداوي لم يعد يستطيع البقاء بعيدا اكثر من ذلك. فهنا تقطن عائلته، وهنا يكمن اكثر احتياج الى عمله. يقول: «الامور اخذت في التحسن يوماً بعد يوم. لقد بدأنا بالتفاؤل مجددا. انها بداية امل جديد.»

يعود الاطباء والعاملون في المجال الصحي الذين هربوا من العراق على مهل بينما تقل وتيرة العنف، كما ان الادوية والمستلزمات الطبية اصبحت متوفرة بشكل غير مسبوق. وبينما مازال القطاع الصحي في العراق مبتلىً بالمشاكل الناتجة عن الحرب، والدكتاتورية، وسنوات من العقوبات الدولية، تلوح علامات على التعافي، حيث تمتلىء صالات المستشفى الذي يعمل فيه الدكتور البداوي الان (بالمراجعين).

يُعد مستشفى الاطفال التعليمي المركزي هو الاكبر من نوعه في بغداد، وقد اعتبر لمدة طويلة مقياسا على تعافي العراقيين على الاجمال، منذ الايام المظلمة لعهد صدام، الى العنف الطائفي اثناء الحرب، الى تحقيق المكاسب الامنية الاخيرة.

لكن البداوي، الذي بقي مشتتا في قراره، يقول ان التقدم الحالي مؤقت. مضيفا ان التفاؤل الذي اعقب سقوط صدام حسين صاحبه الكثير من الامال «بان تأتي الولايات المتحدة بكل ما اوتيت من منشآت ومعدات طبية. لكننا كنا مخطئين».

بدلاً من ذلك، اضحى الاختصاصيون هدفا للقتل والخطف حينما نشبت الفتنة الطائفية اوائل عام ٢٠٠٦. وبعد ان تعرض الى محاولة اغتيال، غادر البداوي الى الاردن ومن ثم الى الولايات المتحدة.

يقول البداوي ان زملاءه يسألونه الآن: «لماذا عدتَ؟ انه ليس الوقت الملائم، قد يكون ذلك بعد اربع او خمس سنوات». ولكنه يجيب قائلا: «لا استطيع العيش بسلام اذا كانت عائلتي تعاني. إما أن نعيش كلنا في سلام، او ان نعاني جميعا».

وبرغم ذلك، يختار البداوي ان يرى الامل في العراق. فتوفير الغذاء قد تحسن خلال العامين الماضيين، على سبيل المثال، واصبح العراق قادرا على استيراد جميع الاحتياجات الطبية والادوية من خلال وزارة الصحة.

يقول ستيفان دي مستورا، الممثل الخاص للامين العام للامم المتحدة في العراق، والذي عمل هنا اواخر التسعينيات خلال فترة الحصار وبرنامج النفط مقابل الغذاء: «لم يعد الموقف ازمة انسانية». لكن الفقر مستمر. فعدد العراقيين الذين هم تحت خط الفقر يبلغ اربعة ملايين نسمة، في بلد تبلغ ميزانيته ٧٨ مليار دولار. بينما يبلغ عدد العراقيين الذين تركوا منازلهم او هاجروا الى الخارج بسبب الحرب ٤,٨ مليون نسمة.

يقول السيد دي مستورا: «ان اسوأ الحالات هي بين المهجرين داخليا. انهم يعيشون على الحافة وهم في امس الحاجة الى المساعدة.» لكن في الجانب الايجابي، فان واردات العراق تنمو بمقدار ٧ بالمئة. وبالمقارنة مع ازمة القطاع الصحي في العراق قبل عقد من الزمن، فان اماكن قليلة فقط بقيت بحالة سيئة في ما كان يعرف بمستشفى صدام التعلمي المركزي للاطفال.

وقد شهد كاتب هذا المقال، آنذاك، وفاة طفلين حديثي الولادة لعائلتين مختلفتين وبعمر يقل عن ١٥ يوما، خلال فترة لم تتجاوز ٣٠ دقيقة. فقد ولدا ضعيفين جدا نتيجة سوء التغذية، فلم يستطيعا النجاة. وتشير احصائية اخرى لللامم المتحدة نشرت عام ٢٠٠٢ الى ان «حالات المواليد ذوي الوزن المنخفض قد ازدادت من ٤,٥ بالمئة عام ١٩٩٠ الى ٢٣,٨ بالمئة عام ١٩٩٨».

صرح مسؤول المساعدات الانسانية في الامم المتحدة، دنيس هاليدي عام ١٩٩٨: «للعقوبات الدولية تأثير هائل. لقد حولت العراق الى انقاض.» وقد استقال من منصبه محتجا، ليكون ثاني اثنين من المسؤولين اللذين اتخذا مثل هذه الخطوة.

وقد حُذف اسم صدام حسين من اسم المستشفى. يقول المسؤولون انها تعمل الان بطاقة تبلغ ٧٠ الى ٨٠ بالمئة من طاقتها الاستيعابية، ارتفاعا من نسبة ٣٠ الى ٤٠ بالمئة قبل عقد من الزمن. وهي مازالت تتعافى من آثار العنف الطائفي في عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧، والذي ادى الى خسارتها تسعة من اطبائها الاربعة والعشرين. فقد قُتل اثنان منهم، بينما غادر الباقون العراق.

يقول مدير المستشفى قاسم راهي عيسى: «نحاول ان نتقدم نحو عالم جديد. لا اعتقد ان الامور ستعود الى العنف مجددا. فقد سأم الناس من تلك الظروف».

ان روح التفاؤل المؤقت التي عبر عنها البداوي وآخرون منتشرون في المستشفى يمكن ان تتجلى في جناح الامومة، حيث جلست الجدة المتشحة بالسواد والتي تسمى زمزم بجانب حاضنة حفيدها، المدعو مصطفى، النائم في حاضنة الرضع، والذي يبلغ ٦ ايام من العمر.

فهي تقول: «شفاؤه من الله». لكن العاملين هنا يقولون انهم يقومون بكل ما يسعهم لتحسين فرص جميع الاطفال. وبالنسبة الى جميع العراقيين، فان المشاكل الصحية التي اثقلت كاهلهم قبل عشر سنوات اصبحت اقل تأثيرا الآن.

وبرغم ذلك فان تقرير مكتب المساعدات الانسانية التابع لللامم المتحدة الذي صدر في ١٩ تشرين الثاني يدعو الى تخصيص مبلغ ٥٤٧,٣ مليون دولار الى العراق واللاجئين العراقيين في المنطقة. ويشير التقرير الى ان «مئات الالوف من العوائل العراقية مازالت تكافح على حافة الفقر، والتهجير، والعواقب المستمرة للصراع». كما ان تأثيرات العقوبات السابقة، والصراع، والاهمال «مازالت مكثفة وحادة».

يبقى الفساد وعدم القدرة على توزيع المساعدات على رأس مشاكل الحكومة. فقد وجد تقرير صادر عن صندوق الامم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونسيف)، استنادا الى ارقام رسمية، ان نسبة الوفيات بين الاطفال تحت سن ٥ سنوات قد ارتفعت مرتين ونصف خلال العقد المنصرم. ويشير التقرير الى ان اكثر من خُمس عدد الاطفال «لازالوا يعانون تأخراً في النمو».

بينما تعتبر الارقام الواردة من عهد صدام محل استفهام، فان الحكومة اليوم تنفق ٥,٩ مليار دولار على نظام البطاقة التموينية القديم والذي تم استحداثه في الثمانينيات واشاد به مسؤولو الامم المتحدة ذات مرة على انه يحافظ على الانفس وانه نموذج للفعالية. لكن حاجات العراق تغيرت. يقول ديفيد شيردر، منسق المساعدات الانسانية في العراق ان ذلك النظام بات «غير فعال بالمرة في توفير الحاجات الاساسية».

ويضيف قائلا: «نحن نرى كثيراً من الحاجات الانسانية المكثفة نوعا ما. والحال في العراق انه مؤلف من فسيفساء مختلفة المستويات من الطبقات المحتاجة، سواء من العهد السابق او في السنوات القليلة السابقة. ان التحدي امامنا هو ان نعمل على هذه الحالات الحرجة حقا».

يقول الخبراء ان النظام بحاجة الى اصلاح، لان مفردات البطاقة التموينة لا توزع استنادا الى الحاجة، بل على انها حق لكل عراقي. لكن ايصال الطعام الى الفقراء العراقيين ليس الا حقلاً واحداً من الحقول التي تمس الحاجة الى تطويرها.

فعلى سبيل المثال، تشير الارقام الرسمية التي تعود الى عام ٢٠٠٦ ان ٧٩ بالمئة من العراقيين يتم تزويدهم بالماء الصافي، غير ان ٤٠ بالمئة فقط يمتلكون ماءً جاريا في منازلهم. كما يتم اعتراض انابيب الماء الصافي من قبل البعض على امتدادها متسببين في تلوثها، ما يؤدي الى زيادة معدلات وفيات الرضع.

وقد حدّ الوضع الامني غير المستقر، حتى الآن، من تطوير البنية التحتية والتي من شأنها ان تحسن الوضع الصحي عموما في البلاد. وقد قُتل حتى بداية العام الجاري قرابة ٦٠٠ من العاملين في مجال البلديات والاشغال العامة في انحاء العراق، اثناء قيامهم بمهامتهم في اصلاح مشاكل الماء والمجاري في العراق.

يقول شيردر: «مع كل هذا التركيز على الامن، اعتقد اننا نفتقد اشياء اخرى في بعض الاحيان. نحن نفتقد العون».

عن: كريستيان ساينس مونيتر

إضعاف فرص السلام

ترجمة : المدى

إن قصف إسرائيل غزة يضعف الرئيس الفلسطيني الذي يفاوضها. كما أنه إذا انفجر الوضع في غزة، سوف يطيح ذلك بفرص إدارة أوباما القادمة بأن تبدأ بداية جديدة من أجل تحقيق السلام في المنطقة.

إن وراء التصعيد العسكري الإسرائيلي تكمن حسابات انتخابية ومنطق استراتيجي خاطئ. من المعروف في إسرائيل بأن وزيرة الخارجية ووزير الدفاع الطموحين – ليفني وباراك – اللذين يقودان حزبي المعارضة، كاديما والعمال – يدركان جيدا بأن العدوان على غزة سيساعدهما على الفوز في انتخابات شباط القادم.

باراك، مهندس العدوان على غزة، تضاعفت شعبيته في استطلاعات الرأي خلال الأيام الأخيرة. ولكن، مع كل صوت إسرائيلي يفوز به، تتراجع شعبية عباس بين الفلسطينيين.

اسرائيل تدعي أن عدوانها على غزة هو من أجل:

حق إسرائيل بالدفاع عن نفسها أمام الهجمات الصاروخية لحماس.

السعي إلى تعزيز نفوذ الفلسطينيين والعرب المعتدلين

دعونا نناقش ذلك.

إذا كان من حق اسرائيل الدفاع عن نفسها، من حق الفلسطينيين أيضا أن يدافعوا عن أنفسهم. إذا كان مقتل ٣ إسرائيليين يبرر كل هذا العدوان الوحشي على غزة، فأن مقتل ٣٥٠ فلسطينياً خلال ٣ أيام يجعل من حق الفلسطينيين الرد بأي طريقة.

لماذا أسر جندي إسرائيلي واحد يبرر إطلاق كلاب الحرب، بينما أسر الآلاف من الفلسطينيين دون محاكمة هو أمر عادي؟

إن الشبه كبير بين ما يجري الآن وبين حرب ٢٠٠٦ على لبنان. فالقصف الإسرائيلي على لبنان الذي هدفت منه إلى إضعاف حزب الله، لم يضعف سوى الحكومة اللبنانية آنذاك، الموالية للغرب. إذا اخفقت إسرائيل في غزة كما أخفقت في لبنان، فإن حماس ستخرج من هذه المواجهة أقوى وأكثرمما كانت، تماما كما خرج حزب الله أقوى وأكثر شعبية مما كان في نهاية حرب ٢٠٠٦، ويجعل فتح تبدو عاجزة..

وإذا نجحت إسرئيل في هزيمة حماس وسط خسائر بشرية فلسطينية هائلة، سيظهر محمود عباس شريكا لإسرائيل. وأي محاولة من قبل قواته لدخول غزة إثر الخطى الإسرائيلية سوف يؤدي إلى حمام دم بين الفلسطينيين، ويدفع بالمزيد من الفلسطينيين إلى التطرف.

إن العدوان العسكري الإسرائيلي هو استمرار وتصعيد للعقوبة الجماعية المفروضة على أهالي غزة. إن هذا التصعيد هو عقوبة للفلسطنيين لأنهم تجرأوا وصوتوا لمصلحة حماس في انتخابات ٢٠٠٦.

إن هذا الاستخدام الإسرائيلي الوحشي للقوة ضد ١,٥ مليون فلسطيني في غزة، نصفهم من الأطفال، هو جريمة حرب تضعف أمريكا وأصدقاءها في المنطقة.

قادة إسرائيل يحاولون تبرير مقتل عدد كبير من المدنيين الفلسطينيين وإحراج السلطة الفلسطينية بانها الثمن الذي لا بد من دفعه من أجل تعزيز عملية السلام. لكن هذا هراء، فعباس هو الخاسر الأول في هذه العملية، برغم أنه الطرف الذي أبدى أكبر قدر من الالتزام بعملية السلام.

برغم أن بوش وأولمرت تبنيا عباس بعد أن ضحى بالوحدة الوطنية الفلسطينية وبمقاومة الاحتلال، فإن استمرار التوسع الاستيطاني ترك عباس خاوي اليدين. وجعله أكثر ضعفا. وإذا لم تضع الاسرة الدولية فوراً حداً للاعتداء الاسرائيلي على غزة، وترعى عملية وقف لإطلاق النار وترفع الحصار عن غزة، فإن العالم سيصبح في حالة كارثية، إنسانياً واستراتيجياً.

إن هؤلاء الذين هتفوا منذ أسابيع «إن شاء الله أوباما»، هم الآن يحرقون الأعلام الأمريكية والإسرائيلية في شوارع غزة وفي كل عواصم العالم.

إنترناشيونال هيرالد تريبيون